

الدلالة عند عبد الرحمن الأخضرى

من خلال مؤلف: "شرح السلم المرونق في علم المنطق"

أ. فايزة طيبي أحمد

جامعة الشلف – الجزائر

يتبوأ عبد الرحمن الأخضرى منزلة مرموقة في التراث الإسلامى العربى والجزائرى، كما أنه يحظى بحضور كبير فى مجال الفكر والمنطق فى اللغة والبلاغة وفى التدريس، الأمر الذى حدا بنا إلى التوجه نحو دراسة بعض جهوده؛ مما يرتبط خاصة بجهده اللغوى لاسيما بحث الدلالة. الدراسة تسعى إلى استنطاق هذا التراث وفهم أفكاره واكتشاف الجديد فيه واستثماره فى ظل مناهج البحث المعاصرة. ومن بين أهم مؤلفات الأخضرى فى هذا السياق كتاب "شرح سلم المرونق فى المنطق" الذى يمثل خلاصة علمية ضمت مرتكزات صاحبها من أسس ومنطلقات فكرية ومنهجية ودلالية¹.

RESUME

Abderrahmane El-Akhdari occupe une place plus qu'honorable dans le patrimoine arabo-islamique algérien. Il est également considéré prééminent dans le domaine de la pensée et la logique de la linguistique, de la rhétorique et de la didactique.

Ce qui nous a poussé à étudier certains de ses travaux, concernant particulièrement ses efforts en linguistique et surtout ses recherches sur la sémantique. L'objectif de la présente étude est de valoriser ce patrimoine, de découvrir de nouvelles données ainsi que son exploitation dans le cadre des méthodes de la recherche contemporaine.

Parmi les ouvrages les plus importants d'El-Akhdari, on citera dans ce sens un livre intitulé: « Explication des degrés les plus apparents dans la logique ».

Ce document représente un résumé scientifique contenant les concepts de son auteur, à savoir: les fondements, les convictions idéologiques, méthodologiques et sémantiques.

تحاول الدراسة الوقوف على بعض ما حمله هذا المؤلف من تجليات دلالية وأسس منهجية،

وتتلخص الرؤية الدلالية للأخضرى فى النقاط الآتية:

1- المصطلح.

2- أنواع الدلالة.

3- نسبة الألفاظ إلى المعاني.

وقبل تفصيل هذه الرؤية وما حوته من أفكار، تحسن الإشارة إلى أمرين هامين من أجل تأطير جوانب الدراسة وتأسيس منطلقاتها.

فأما الأول فيشير إلى أن ما قدمه عبد الرحمن الأخضرى في "شرح سلم المرونق في المنطق" لا يخضع إلى إطار منهجي واضح المعالم ولا لصياغة نظرية محددة، وإنما قدم بحث الدلالة متفرقا ومقتضبا، غير أن ما انتبه إليه وذكره من أفكار عميقة وملاحظات دقيقة يلتقي مع كثير من المفاهيم الدلالية الحديثة.

وأما الأمر الثاني فهو موقف منهجي هام مفاده أننا لا نسعى في هذه الدراسة إلى محاكمة رؤية الأخضرى وآرائه الدلالية، إنما نريد الكشف عن مدى ما ضمه الكتاب من نبوغ ونضج ويتجلى ذلك في تلك التصورات التي تقارب ما جاء به علم الدلالة الحديث وعلم المنطق أو تبتعد عنه، وفي إثبات أصالة التراث العربي وخصوصيته التي تعد منطلقا أساسيا يعتمد عليه الأخضرى.

أما عن رؤية الأخضرى الدلالية فسيركز الحديث فيها على نسبة الألفاظ للمعاني، أما النقطة الأولى والثانية فستكون عبارة عن إشارات.

1- المصطلح عند الأخضرى:

سعى الأخضرى في "شرح السلم المرونق في المنطق" إلى إحصاء جملة من المصطلحات المختلفة من حيث هي علامات دالة على العلوم والمعارف، فكان هذا الجهد المصطلحي قاعدة لتأسيس معجم تعريفي، ومحاولة الاقتراب من هذا المؤلف في أبعاده التعريفية والدلالية وتفكيك بنيته المنطقية تفرض الجهد الكبير من أجل استشراف عوالم دلالية يزخر بها التأليف في العهد العثماني بالجزائر.

وتقوم منهجية الأخضرى في عمله المصطلحي على توضيح المفاهيم المفردة والتعبير عنها بأجناس الأشياء البسيطة، وتوضيح الفروق الدلالية والتقنية بين المصطلحات، الأمر الذي يترجم وعي الأخضرى وتمكنه من العلوم التقليدية، سواء أعلق الأمر بالثقافة العربية أم بالثقافة الوافدة، كما يعكس البعد العلمي لرؤية الأخضرى المنهجية للمصطلح، لأنه يوقن بأن الغاية من تحديد

المصطلحات وضبطها وتفسيرها وورودها في سياقات مختلفة ومتنوعة يُيسر للطالب المتعلم والمبتدئ سبيل التحصيل العلمي، بهدف ترسيخها في الأذهان واللسان والاستعمال (**).

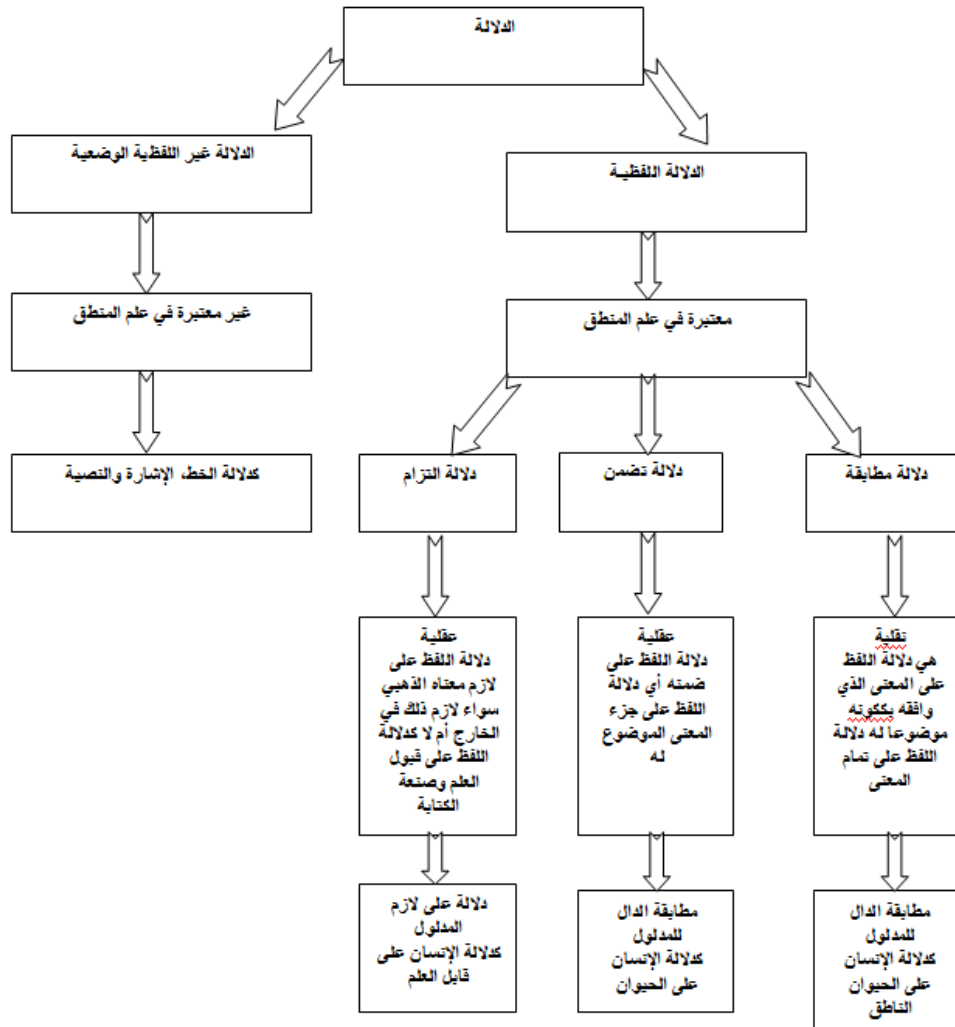
2- أنواع الدلالة عند الأخضري:

يطرح عبد الرحمن الأخضري تصوره للدلالة وأنواعها في كتابه (السلم المرونق في المنطق)، وهو تصور لا يبدو بعيدا عن ذلك الذي قدمه الأصوليون واللغويون والبلاغيون قبله، فقد خصّص فصلا بالدلالة وأنواعها سمّاه: "أنواع الدلالة الوضعية"، إذ يؤكد أن المعاني التي يطلب حصولها من تصور أو تصديق متوقفة على دال يدل عليها من لفظ أو غيره، كما أنه يعتبر تقسيم الدلالة إلى أنواع عملا منطقيًا في ذاته نظرا للعلاقة التي تربط الدلالة بالمنطق¹.

والملاحظ في "شرح السلم" أن الأخضري لم يقدم تعريفا صريحا واضحا للدلالة، بل انتقل مباشرة إلى ذكر أنواعها، ذلك أنه تناول هذه القضية في مؤلفات أخرى أبرزها: "شرح الجوهر المكون في ثلاثة فنون"².

يركز الأخضري في "شرح السلم" على الدلالة اللفظية الوضعية وعلى ذكر أنواعها من خلال النصوص التي ساقها في الكتاب، ومن خلال الأمثلة التوضيحية الموظفة، وهو لا يخرج في تقسيمه بعيدا أو مغايرا للتقسيمات الواردة في التراث العربي في جانبه الأصولي والمنطقي خاصة، غير أن تصوره يتميز عن الآخر من خلال المنهج وكيفية تناول هذه الأقسام، وذلك من خلال ذكر النص ثم محاولة تفسيره واستجلاء معانيه حتى يقربه للقارئ أكثر، لأن الهدف الأساسي من المؤلفات في الفترة العثمانية كان هدفا تعليميا لا يخرج عن إطار التبسيط والتعليم، ونلخص تقسيم الأخضري لأنواع الدلالة في المخطط الآتي:

مخطط الدلالة الوضعية 3



كما يتناول الأخصري جانباً آخر من الدلالة يتعلق بالمنطق، فتناول الدلالة المنطقية فذكر تعريفها وأهم أنواعها مع توضيح كل ذلك بالأمثلة والشواهد⁴.

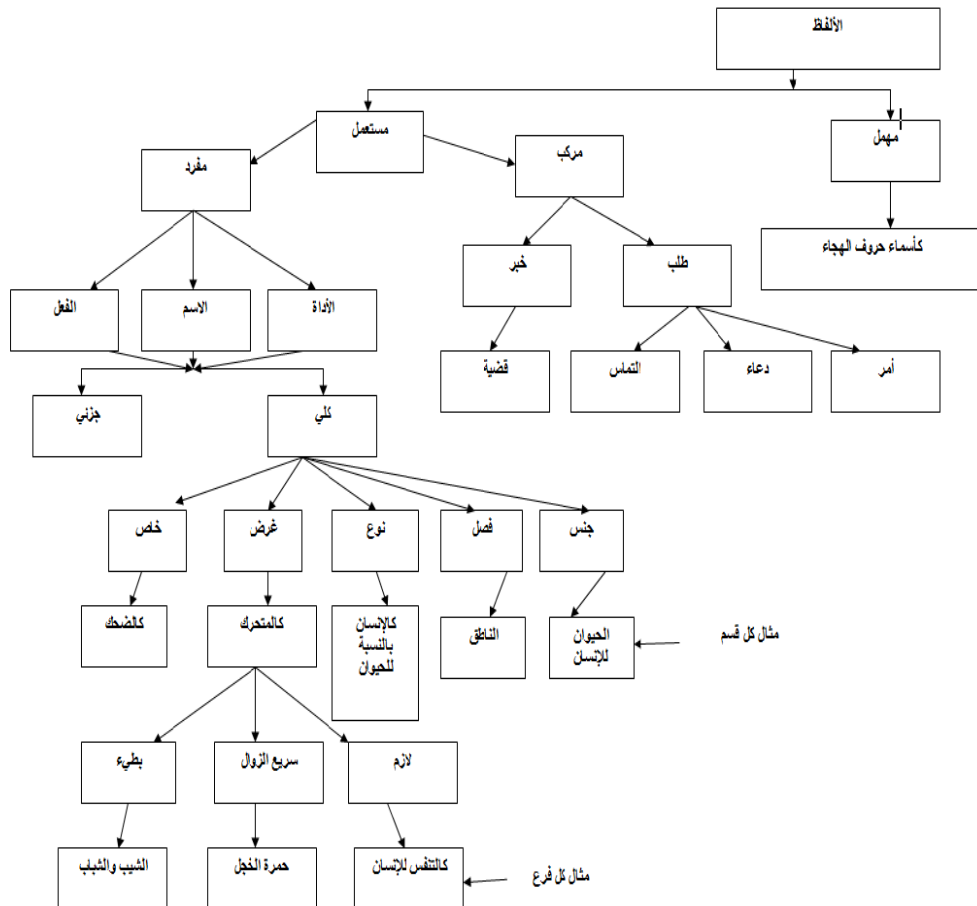
3- نسبة الألفاظ إلى المعاني عند الأخصري:

قارب عبد الرحمن الأخصري في بحثه الدلالي في "شرح السلم" مسألة من أهم المسائل التي أثارها الفكر اللغوي، وهي طبيعة علاقة الاسم بمسماه أو ما يعرف بـ: "نسبة الألفاظ إلى المعاني" أي "العلاقات الدلالية"، فقد أولى علماء اللغة باختلاف اتجاهاتهم - خاصة العرب منهم -

أهمية بالغة لبعض الظواهر الدلالية كالترادف والاشتراك والفروق وغيرها "وأفردوا لذلك أبحاثاً قيمة لهذه القضايا من جوانب مختلفة يشهد لها بالسبق والريادة"⁵.

والأخضري بدوره لم يغفل عن هذه العلاقات بين الألفاظ والمعاني، ذلك أن "التعرف على طبيعة العلاقات الدلالية للألفاظ داخل اللغة يعد من أسس البحث الدلالي ودراسة البنية الدلالية للغة"⁶.

وقبل أن يلج الأخضري باب هذه العلاقات الدلالية، مهّد لها بمبحث خاص بالألفاظ وتعريفها وأقسامها وتوضيحها بالأمثلة والشواهد نظراً لما يكتسبه اللفظ من أهمية في الدلالة. (ونلخص ما ورد في هذا المبحث في المخطط الآتي): مخطط مباحث الألفاظ عند الأخضري



وبعد حديثه عن كل ما يتعلق باللفظ من جزئيات انتقل الأخضرى إلى تحديد أشكال العلاقات أو النسبة بين الألفاظ والمعاني، فقدم تصورا منطقيا يضع جميع الاحتمالات الممكنة في الحسبان، فنتج عن ذلك خمسة أقسام لأنواع العلاقات، يبينها في قوله:

ونسبة الألفاظ للمعاني خمسة أقسام بلا نقصان
تواطؤ تشاكك تخالف والاشتراك عكسه الترادف⁷

إذ يبين نسبة اللفظ الكلي إلى معناه خمسة أقسام بلا نقصان هي:
التواطؤ والتشاكك والتخالف والاشتراك والترادف.

أ/ علاقة التواطؤ:

التواطؤ: "هو الجمع بين الشيئين على حذو واحد أو الجمع بين الضدين في سياق تعبيرى واحد"⁸ والتواطؤ علاقة منطقية المراد بها الاتحاد بين اللفظ والمعنى⁹.

أما الأخضرى فيعرف التواطؤ بأنه "نسبة اللفظ الكلي إلى معناه، فتشترك أفرادها فيها، كالإنسان بالنسبة إلى أفرادها، فلفظ الإنسان: كلي متواطئ لتوافق أفرادها معناه فيه"¹⁰، ويضيف قائلا "إن اللفظ المتواطئ هو الكلي الموضوع لمعنى مستو في مجاله كالإنسان، فإن حظ زيد من الإنسانية مساو لحظ عمرو منها وهو مأخوذ من التواطؤ بمعنى التوافق، ومنه قوله تعالى: يُوَاطُّهُمُ عِدَّةٌ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ¹¹ أي ليوافقوا"¹²

ب/ علاقة التخالف (التباين):

التخالف علاقة دلالية أساسية وهو من أهم العلاقات المحددة بدلالة الكلمة، فكل ثنائي يرشد إلى معنى من معاني الكلمة يحدد عن طريق ثنائيات التخالف، فالألفاظ المتباينة هي ما وضع من الألفاظ المختلفة للمعاني المختلفة"¹³

ويعرف الأخضرى: التخالف بقوله: "يتعدد اللفظ والمعنى كالإنسان والفرس فمتباين أي أحد اللفظين مباين للآخر لتباين معناه"

ج/ علاقة التشاكك:

التشاكك علاقة دلالية مأخوذة من الشك، لأن الناظر فيه يشك فيه هل اللفظ مشترك أو متواطئ.

ويعرفه الأخضري بقوله: "المشكك لتشكك الناظر في أنه متواطئ نظرا إلى جهة اشتراك الأفراد في أصل المعنى أو غير متواطئ نظرا إلى جهة الاختلاف"¹⁴.
إن الملاحظ من خلال ذكر تعاريف هذه الأنواع أن الأخضري لم يفضل فيها كثيرا بل أشار إليها إشارات مقتضبة، ذلك أنه تناولها في مؤلفاته الأخرى.

د/ علاقة الاشتراك:

يعرف الاشتراك بأنه: "أن تدل الكلمة الواحدة على الشيء ونقيضه كدلالة الجون على الأبيض والأسود، أو أن تدل الكلمة على معنيين اثنين كدلالة العين على العين الباصرة وعين الماء"¹⁵.

و يوضح الأخضري الاشتراك بقوله: "أن يتحد اللفظ دون المعنى كالعين فمشترك لاشتراك المعاني فيه"¹⁶.

يشير الأخضري في هذا التعريف إلى الاشتراك اللفظي (Homonymie) الذي لا يعني اختلاف الدلالة في إطار الكلمة الواحدة، ذلك أن وجود معنيين اثنين أو أكثر للصيغة اللغوية الواحدة يدل على وجود كلمتين أو أكثر، فإذا تنوعت الصيغ اللغوية أو تعددت الدلالات تعددت الكلمات¹⁷، وهو بذلك يثير قضية هامة شغلت القدماء والمحدثين وهي الفرق بين الاشتراك اللفظي وتعدد المعنى (Polysémie)، الذي له أثره في العمل المعجمي أي له أثر في تحديد المداخل المعجمية.

هـ/ علاقة الترادف:

يعد الترادف من الظواهر اللغوية الهامة لما لعلاقة الألفاظ بالمعاني من أثر في التواصل بين الأفراد وقد تشعبت مسائل الترادف وحظيت باهتمام العلماء والدارسين، فاختلفت آراؤهم وتباينت اتجاهاتهم، سواء في ذلك علماء اللغة وأصول الفقه والمنطق والمنشغلون بعلوم القرآن الكريم

وغيرهم، فالتخذت قضية الترادف موقعا مهما في كتبهم ومؤلفاتهم فأشبعوها بحثا وتمحيصا بكثير من التقصي والاستيعاب، وانقسموا إلى معارض ومؤيد أو إلى قائل بالترادف ومنكر له. أما الأخضرى فهو من المؤيدين لظاهرة الترادف، ويعرفه بقوله: "أن يتحد المعنى دون اللفظ كالإنسان والبشر، فمترادف لترادفها أي تواليها على معنى واحد"¹⁸.

إن هذا التعريف رغم اختصاره واقتضابه فإنه يعكس مقصود الأخضرى من الترادف؛ إذ يعرفه بأنه "وجود كلمتين أو أكثر بدلالة واحدة أي يشيران إلى شيء واحد وأن هناك تقاربا في الدلالة وليس تطابقا.

فمن خلال تناول الأخضرى لهذه العلاقات الدلالية يتبين حرصه على بيان طبيعة الدلالة من داخل البنية اللغوية مع ربطها بالعوامل الخارجية ومن خلال البحث في الألفاظ وتقسيمها.

الخاتمة

من خلال هذه الرحلة مع الأخضرى في طيات كتابه "شرح السلم المرونق في المنطق" يمكن القول إن الأخضرى قد أحاط بجميع جوانب البحث الدلالي في هذا المؤلف النفيس باعتدائه على منهج خاضع للعلمية، وذلك من خلال اهتمامه بالمصطلح المتعلق بالدلالة أساسا، ومن خلال ذكره لأنواع الدلالية، ومن خلال تركيزه على العلاقات الدلالية. فالأخضرى علم من أعلام اللغة يستحق من الباحثين الاعتناء الكبير بمؤلفاته وبجهوده وتثمينها وتقديمها للقارئ الجزائري والعربي وحتى الغربي.

مراجع البحت وإصالاته

(*) : للاطلاع على المؤلف ومحتوياته ينظر كتاب "شرح السلم المرونق في المنطق" - دراسة وصفية تحليلية، فائزة طيبي أحمد، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009.

(**) : للتفصيل حول المصطلح عند الأخضرى ينظر: شرح السلم المرونق: فائزة طيبي أحمد، ص 117، 118، 119، 120.

(1) : ينظر: مخطوط "شرح السلم المرونق في المنطق" عبد الرحمن الأخضرى، ص 06.

فايزة طيبي أحمد

- (2): شرح الجوهر المكنون في الثلاثة فنون-البديع والبيان والمعاني، كتاب تناول فيه الخصري شرح متن الجوهر المكنون يعد دراسة شاملة للبلاغة العربية بحثا لفنونها وأبوابها كما تناول في ثناياه بعض المسائل الصرفية والنحوية والدلالية شرحا وتفصيلا.
- (3): هذا المخطط هو خلاصة ما ورد في ثنايا فصل الدلالة الوضعية، ينظر مخطوط: شرح السلم المروني "الأخصري، ص 06، 07، 08.
- (4): للاطلاع على هذا القسم والتفصيل فيه ينظر: شرح السلم، فايزة طيبي أحمد، ص 127، 128، 129، 130، 131، 132.
- (5): مدخل إلى علم اللغة-المجالات والاتجاهات-، محمود فهمي حجازي، الطبعة الرابعة والجديدة والمزودة، 206، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 141.
- (6): المرجع نفسه، ص 151.
- (7): مخطوط شرح السلم، الأخصري، ص 12.
- (8): الترادف في القرآن الكريم، محمد نور الدين المنجد، الطبعة الأولى، 2001، دار الفكر، دمشق، ص 147.
- (9): رسالة في المنطق-إيضاح المبهم في معاني السلم-الدمهوري، عمر فاروق الصباغ، ص 90.
- (10): مخطوط "شرح السلم"، الأخصري، ص 13.
- (11): التوبة، 37.
- (12): شرح السلم، ص 13.
- (13): ينظر: آليات إحصاء المفردات وترتيبها من طريق العلاقات الدلالية في معجم الموضوعات، آمال فرفار، مجلة الصوتيات العربية، مخبر الصوتيات، جامعة سعد دحلب، العدد 02، البليدة، 2006، ص 59.
- (14): شرح السلم، الأخصري، ص 15.
- (15): مدخل إلى علم اللغة، فهمي حجازي، ص 149.
- (16): شرح السلم، الأخصري، ص 16.
- (17): ينظر: مدخل إلى علم اللغة، فهمي حجازي، ص 161.
- (18): شرح السلم المروني، الأخصري، ص 17.